مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

" النهضة الكارولنجية زمن شارلمان"
(151- 199هـ/ 768-814م)

الدكتورة غادة حسن*
هبة عبود **

(تاريخ الإيداع 22 / 3 / 2016. قبل للنشر في 6 / 9 / 2016)

□ ملخّص □

لقد تفوقت الأهمية الحضارية على الأهمية السياسية في الدولة الكارولنجية والدليل على ذلك أنّ هذه الدولة التي أنشأها شارلمان لم تعش كثيراً بعد موته(ت 199هـ/814 م) . وتعدّ النظم الاقتصادية والاجتماعية والعلمية في هذه المرحلة رغم بساطتها بداية لحضارة أوربا في العصور الوسطى وهي التي أضاءت الطريق لحضارات أخرى تلتها على الأرض الأوروبية، ولقد كانت هذه النهضة فترة من فترات البطولة المتعددة في العصور الوسطى المظلمة، ولولا ما اتصف به خلفاء شارلمان من عجز وما شجر بينهم من نزاع لكان من المستطاع أن
تقضي هذه النهضة على ظلمات تلك العصور وعلى النزاع الذي نشب بين الكنيسة والدولة ومزقها شر تمزيق .

الكلمات المفتاحية : شارلمان ، النهضة ، أعلام النهضة ، مظاهر النهضة .

* مدرس – قسم التاريخ – كلية الاداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** طالبة دراسات عليا (ماجستير)– قسم التاريخ – كلية الاداب والعلوم الانسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

Carolingian Renaissance time of Charlemagne (151 -199 A.H / 768 – 514 A.D)

Dr. Ghada Hassan *
Hiba Aboud **

(Received 22 / 3 / 2016. Accepted 6 / 9 / 2016)

□ ABSTRACT □

We have outperformed the cultural importance of the political importance of the Carolingian state and the proof is that this state created by Charlemagne, which did not live much after his death (d. 199 AH / 814 AD). Economic, social and scientific systems at this stage is, despite its simplicity the beginning of the civilization of Europe in the Middle Ages which lit the way for other civilizations followed on European soil, and it was this renaissance period of multi-starred in the dark middle ages, but not what was characterized by the successors of Charlemagne from a deficit and including tree of the conflict it would have been possible to spend this renaissance on the darkness of those times and the conflict that broke out between church and state and riddled the evil Shredder .

Key word: Charlemagne, renaissance, flags of renaissance, manifestation of renaissance

*Assistant professor, Department of History, Faculty of Art and Humanities, Tishreen Univerity Lattakia, Syria
** Postgraduite Student, Department of History , Faculty of Art and Humanities, Tishreen Univerity Lattakia, Syria

مقدمة :

إنّ الإمبراطورية الرومانية كانت أعظم وحدة حضارية سياسية عرفها التاريخ، إذ لم يقدر لإمبراطورية أخرى في تاريخ البشر القديم أو الحديث أن تبلغ ما بلغته الإمبراطورية الرومانية، من قوة واتساع ذلك أنّ هذه الإمبراطورية ضمت بين حدودها جميع مراكز الحضارات القديمة باستثناء فارس والهند .

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، فإنّ عالم العصور الوسطى قد اشتمل على ثلاث مجموعات كبيرة، وهي حسب ظهورها التاريخي المجتمع البيزنطي الذي ورث الجانب الشرقي من أملاك الإمبراطورية الرومانية، والمجتمع الأوروبي الذي عاش على أراضي الجانب الغربي للإمبراطورية والرومانية، والمجتمع الإسلامي الذي بدأ من شبه جزيرة العرب، ثم ما لبث أن احتوى أملاك الدولة الفارسية، وجانباً كبيراً من أملاك الإمبراطورية الرومانية، وهو الشام وآسيا الصغرى والشمال الإفريقي من مصر حتى المحيط الأطلسي وإسبانيا، وغير ذلك في آسيا وافريقية .

وإنّ المجتمع الأوروبي في الغرب هو الذي سيلقي علية الضوء في هذا البحث، متمثلاً بالعناصر التي وفدت إليه على شكل هجرات أو غزوات وهو ما يعرف بالتاريخ باسم الغزوات الجرمانية التي توغلت في أوربا الغربية، حيث كان لهم تأثير في سير الحضارة هناك، وفي ظل هذه الممالك الجرمانية لم يكتب الاستمرار إلا لمملكة واحدة وهي مملكة الفرنجة التي حكمتها بداية الأسرة الميروفنجية، وتبعتها الأسرة الكارولنجية التي قضت على الأولى وحلت مكانها بدلاً من كونهم أمراء البلاط، وجاء تعينهم من أكبر سلطة كهنوتية في العالم المسيحي، وهكذا أصبحوا بضربة واحدة يتمتعون بمركز فريد بين حكام الغرب قاطبة .

ولعلّ هذه الظروف السياسية هي التي مهدت لظهور شخصية شارلمان، الذي قام بأول مغامرة عسكرية حاسمة، كانت هي النهاية للصراع الذي بدأه والده مع اللومبارديين، حيث استطاع القضاء عليهم، وخاض معارك ضد الآفار والبافار والسكسون وضد العرب المسلمين في الأندلس، من أجل توسيع حدود مملكته وما أن حلّ عام 184هـ/ 800 م حتى تمّ تتويج شارلمان إمبراطورا على يد البابا ليو الثالث سنة 184هـ/800 م .

وإذا ما غضضنا النظر عن حروب شارلمان كان هو أعدل الحكام الذين عرفتهم أوروبا وأكثرهم استنارة، فكان الباعث الأول على حركة الإحياء العلمي فقد زخر تاريخ شارلمان بأسماء لامعة حملت لواء النهضة العلمية وعلى رأس هؤلاء الكوين وإينهارد وأنجلبرت وتيودولف وغيرهم، وترجع أهمية هؤلاء العلماء إلى الدور الذي قاموا به وإلى مدى التشجيع الذي لاقوه من الإمبراطور شارلمان .

أهمية البحث وأهدافه :

على الرغم من وجود الكثير من الكتب والأبحاث التي تناولت امبراطورية شارلمان، إلا أن معظم هذه الدراسات ركزت على الجانب السياسي والعسكري للإمبراطورية الكارولنجية دون الجانب الحضاري، من هنا جاءت فكرة التطرق إلى النهضة الكارولنجية التي ظهرت خلال حكم شارلمان والتي كان لها دور كبير في النهضة الأوروبية الحديثة .

منهجية البحث :

سيعتمد البحث على جمع المادة العلمية من المصادر و المراجع و المقالات المتعلقة بتاريخ أوروبا في العصور الوسطى عامة وبالإمبراطورية الكارولنجية خاصة، ثم العمل على تحليل هذه المعلومات التاريخية ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات بغية الوصول إلى الحقائق المتعلقة بموضوع البحث .

النتائج والمناقشة :

أولا" : استلام شارلمان للسلطة وأعماله العسكرية :

لمّا جلس كلوتير الثاني cluter II[1] على عرش الفرنجة لاح أنّ مركز الأسرة الميروفنجية[2] وطيد، ذلك أنه لم يحكم ملك قبله من ملوك هذه الأسرة دولة تضارع دولته في الاتساع والوحدة، لكنّ كلوتير الثاني كان مديناً بقوته إلى أشراف مقاطعتي أوسترازيا Austrasia وبرجنديا Burgundia[3]، وقد كافأهم على تأييدهم له بأنّ زاد من استقلالهم ووسع أملاكهم، وبأن اختار واحداً منهم هو "بيبن الأول الأكبر" ليكون ناظراً للقصر، وكان ناظر القصر في بادئ الأمر هو المشرف على القصر الملكي، وازدادت مهامه حين عكف ملوك الميروفنجين على الدسائس، وأخذ يشرف شيئاً فشيئاً على شؤون الحكم والجيش والمال[4].

ولم يقتصر تدهور الأوضاع في مملكة الفرنجة على ذلك، بل نشب صراع بين حجاب القصور أنفسهم على السلطة والنفوذ، ودارت رحى الحرب بين مملكتي نيستريا Neustria وأوسترازيا فأصبح "بيبن الثاني (هريستال)" Pepin of Heristal حاجب قصر أوسترازيا السيد الوحيد والحاكم الفعلي في الممالك الثلاث (أوسترازيا، نيستريا، برجنديا)، ثم مالبث أن خلف "بيبن الثاني" ابنه "شارل مارتل "المطرقة" Charles Martel في حجابة قصر أوسترازيا تحت سلطان "كلوتير الرابع"، حيث تخلص من خصومة ومنافسيه بغية تدعيم وحدة البلاد الداخلية، وقام بسلسلة من الحملات العسكرية على الممالك المجاورة له، وبعد موته اقتسم ولداه كارلومان Carloman وبيبن القصير Pepin the short حجابة القصر في مملكة الفرنجة، في حين تنازل كارلومان لأخيه بيبن كي يحكم البلاد وحده، وصار الحاجب بيبن القصير الحاكم الفعلي في مملكة الفرنجة[5].

وفي عام 134هـ/751م أعلن بيبن القصير نفسه ملكاً على الفرنجة في اجتماع حضرة أنصاره من كبار النبلاء ورجال الدين، ولكي يضفي الشرعية على منصبة أرسل إلى البابا زكريا Zacharias (124-135هـ/741-752 م) بقوله ((من يجب أن يكون ملكاً على الفرنجة الأمير الذي لا يملك من السلطة إلا اسمها أم الذي يملك السلطة الفعلية))[6].

وفي تلك الأثناء كانت البابوية في حاجة إلى تأييد الفرنجة ضد مطامع اللومبارد Lombards[7]، فبعث إليه البابا بجواب مطمئن فعزل" شيلدريك الثالث" Childeric III آخر ملوك الأسرة الميروفنجية عن العرش، وتبوأ بيبن

---

[1] كلوتير الثاني: كان حاكم مقاطعة نيستريا وكان قد استطاع أن يخضع لسلطته مقاطعتي أوسترازيا وبرجنديا وأصبح ملكاً وحيداً على الفرنجة وحكم بين 613 /629م . انظر حاطوم(نور الدين)، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر ، دمشق، ط 1، 1982م، ج1، ص84.

[2] تنسب السلالة الميروفنجية إلى ميروفيه الذي كان من أقدم زعماء الفرنجة. انظر حاطوم، المرجع نفسه، ص77.

[3] كانت مملكة الفرنجة في عهد الأسرة الميروفنجية تتألف من ثلاث ممالك، ترتبط فيما بينها بنوع من التحالف وهي أوسترازيا وبرجنديا ونيستريا. انظر كانتور (نورمان)، التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية، تر : قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط 5 ،1997 م، ص 178.

[4] كانتور، المرجع نفسه، ص 178.

[5] فرح (نعيم)، تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى ، منشورات جامعة دمشق ، 2000 م ، ط3 ، ص 45.

[6] حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص93.

[7] اللومبارديون :هم من الشعوب الجرمانية التي هاجمت القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية وقد تدفقوا عبر جبال الألب إلى الشمال الإيطالي تحت قيادة ملكهم (ألبوين) عام 568م ، وأقاموا مملكة لهم على حساب الممتلكات البيزنطية شمال إيطاليا واتخذوا من مدينة بافيا عاصمة لهم .

القصير عرش المملكة الفرنجية لينهي بذلك حكم الأسرة الميروفنجية، ويبدأ حكم الأسرة الكارولنجية، وتوفي بيبن القصير بعد أن أوصى بملكه لولديه كارلومان الثاني وشارلمان على أن يحكما البلاد معاً، ولكن بموت كارلومان آل الحكم إلى شارلمان[1].

وصل شارلمان بالأسرة الكارولنجية إلى أوج مجدها، وحقق نجاحاً في كل الحملات التي قام بها مقتفياً بذلك السياسة التي وضعها من قبل كل من شارل وبيبن القصير، ففي كل سنة من سني حكمه تقريباً كان شارل يقود الحملات بنفسه، ولكن عندما يجد نفسه مضطراً إلى إرسال أكثر من جيش إلى الخارج كان ينيب عنه في العادة أصدقائه المخلصين، فابتدأ شارل أول حملاتة بإنهاء الصراع الذي بدأه أبوه مع اللومبارديين، فبعد غزو ايطاليا في عام /156هـ – 773 م/ استطاع شارلمان طرد الجيش اللومباردي إلى ما وراء أسوار العاصمة الملكية في بافيا Pavia[2]، واضطر هذا الجيش إلى الاستسلام بعد حصار طويل، وكان النصر الذي أحرزه شارلمان نصراً ساحقاً حيث استطاع الاستيلاء على التاج لنفسه وضم جميع أراضي اللومبارديين إلى أملاكه[3].

وبعد ذلك قام بحملته الأولى ضد السكسون [4]، وقد أثبت هؤلاء البرابرة الجرمان أنهم أشد أعدائه عناداً فترة تزيد عن الثلاثين عاماً، حيث كان السكسون وقتذاك منقسمين إلى ولايات قبلية صغيرة لذلك لم يكونوا أنداداً لجيوش الفرنجة في أي معركة عامة اشترك بها الجيشان، الأمر الذي دفع شارلمان إلى استخدام أساليب القمع الوحشي، ففي إحدى الحملات أعمل شارلمان الذبح في 4500 أسير سكسكوني ليثبت لهم عدم جدوى مقاومة الفرنجة، وكذلك أصرّ على دخول السكسون المسيحية رمزاً لخضوعهم[5].

وفي عام 162هـ/778م قاد شارلمان جيشاً عبر جبال البرانس ضد المناطق الإسلامية في اسبانيا وانتهت حملته الأولى بسلسلة من الهزائم بلغت ذروتها بالقضاء على مؤخرة الجيش الفرنجي عند ممر (رونسيسغال) في معركة خلدت ذكراها إحدى الملاحم الفرنسية وهي (أنشودة رولاند Ruland)[6].

ولم يكتف شارلمان بذلك بل حاول توسيع حدود مملكته من الناحية الجنوبية الشرقية حيث إمبراطورية الآفار Avars[1] الواقعة على ضفاف نهر الدانوب، فوجه حملة استطلاعية ضدهم في عام 175هـ/791م أتبعها بحملة أخرى في عام 177هـ/793م استولى فيها على معسكر الآفار الحصين وتم له الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم

انظر , FICHTENAU, H. *The Carolingion Empire .(*Eng . trans.) Oxford , 1963, p21.

[1] ديفز (هنري كارلس)، أوروبا في العصور الوسطى، تر: عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ط1، 1958م، ص 48.

[2] بافيا: مدينة إيطالية وعاصمة لمقاطعة تحمل الإسم نفسه، تقع على بعد 32كم إلى الجنوب من مدينة ميلان، ومن أشهر كنائس بافيا العديدة كنيسة القديس ميشيل التي تعود إلى القرن الحادي عشر، وقد كانت مركزاً مبكراً للتعليم، واتخذها اللومبارديون عند دخولهم إيطاليا عاصمة لهم. انظر اينهارد ، سيرة شارلمان، ترجمة : عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط 1، 1989م، ص61.

[3] الحويري (محمود محمد)، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، دار المعارف، القاهرة ، ط 1، 1986م، ص 153.

[4] السكسون : هم مجموعة من القبائل الجرمانية التي كانت تعيش في المنطقة الممتدة من الضفة الشرقية لنهر الراين حتى نهر الأيليه عبر سهول وسط ألمانيا المكسوة بالغابات، وأشهر هذه القبائل حسب نزولها في هذه المنطقة هي الويستفاليون west phalians، والأنجاريون Angarians، والأستفاليون East phalians .

انظر STEPHENSON,C. *Medieval History* , Washington ,1977 ,p273

[5] ساليفان (ريتشارد)، ورثة الإمبراطورية الرومانية الغرب الجرماني– العالم الإسلامي– الدولة البيزنطية، تر: جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 1985 م، ص 111.

[6] رولاند : هو حاكم ثغر بريتاني، انضم إلى حملة شارلمان على إسبانيا ولكن هذه الحملة فشلت فشلا ذريعا وقتل فيها رولاند نفسه .انظر. STEPHENSON,C. *Medieval History*,p271

والجدير بالذكر أنه لم يكن هدف شارلمان من حملاته التي قام بها مجرد الاستيلاء على الأراضي فحسب، إنما حاول إدخال نظم سياسية قوية تجعل من الشعوب المغلوبة تابعة بمعنى الكلمة وأهم ما تضمنه برنامج شارلمان في ضم أراضي جديدة إلى مملكته هو إصراره على دخول الشعوب المهزومة في المسيحية على المذهب الكاثوليكي والتعجيل بتأسيس هيئة كنسية[2].

وفي عام183هـ / 799م وبينما كان الملك مشغولاً في حملة ضد السكسون، توجه البابا ليو الثالث Leo III (179-201هـ/795-816 م) إليه شاكياً أعداءه الذين انقضوا عليه أثناء احتفال ديني عام، حين كان يسير في شوارع روما، وحاولوا سمل عينيه وقطع لسانه، فطلب ليو من شارلمان أن يحسم المشكلة، فما كان من شارلمان إلا أن توجه إلى روما بعد مداولات مع مستشاريه ومع ليو، تمكن بعدها من تبرأت البابا من أي لوم وأعادته إلى السلطة.

بقي الملك في روما لحين الاحتفال بعيد الميلاد لحضور الخدمات الدينية في أشهر كنيسة في العالم المسيحي ألا وهي كنيسة القديس بطرس، وبينما كان شارلمان ساجداً يصلي قبل الاحتفال وضع ليو الثالث التاج على رأسه وصاحت الجموع المحتشدة ثلاث مرات ((الحياة والنصر لشارل العظيم المتوج من الله الإمبراطور الروماني العظيم المسالم)) وألقى البابا بعد ذلك بنفسه على الأرض أمام شارل احتراماً وتقديراً له[3].

ما فعله المصلون إنما يدل على أن هناك ترتيباً مسبقاً لمنح شارلمان اللقب الإمبراطوري،على عكس ما ذكره "اينهارد" مؤرخ "سيرة شارلمان" أن سيده شارلمان قال : "لولا أن هذا اليوم هو يوم ميلاد المسيح ولو علم مسبقاً ما سيفعله البابا ما وطئت قدماه أرض الكنيسة في ذلك اليوم".[4]

ويعلق المؤرخون على كلام اينهارد هذا بقولهم إن شارلمان ما ذكر ذلك إلا من قبل التواضع ومحاولة الإقلال من محاولة الزهو والافتخار الذي أصابه، وفي رأي مؤرخين آخرين إن عدم اغتباط شارلمان بهذا الحدث ربما يرجع إلى أنه كان يرى أنه من الأجدر به الحصول على منصبه الإداري دون تقليد مباشر من البابوية، أو رغب في تتويج نفسه بنفسه حتى لا يجعل للبابا سلطان عليه[5].

كان لتتويج شارلمان إمبراطورا نتائج بالغة الأهمية، إذ جاء ضربة قاصمة لبيزنطة التي ظلت تعد نفسها حتى ذلك الحين الإمبراطورية الوحيدة التي انتقل إليها تراث الإمبراطورية الرومانية القديمة [6]، وعلى هذا الأساس لم تعترف بيزنطة بتولية شارلمان بل عدت ذلك من أعمال الإغتصاب، ولكن البابوية عدت عرش الإمبراطورية البيزنطية شاغراً بعد عزل الإمبراطور الشرعي قسطنطين السادس سنة 181هـ/ 797 م، في الوقت الذي جرى فيه اعتبار تولية امرأة الحكم "ايرين" مخالفاً للتقاليد الرومانية[7].

---

[1] الآفار: هم شعب من أصل أسيوي كون دولة كبرى خلال القرنين السابع والثامن الميلادي بعد هزيمة كثير من القبائل السلافية الضعيفة وكانت غارات الآفار التي يشنوها للحصول على الغنائم والأسلاب مصدر تهديد مستمر لدولة الفرنجة الذي دفع شارلمان إلى القضاء عليهم. انظر ساليفان، المرجع نفسه ، ص 112 .

[2] حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص 166.

[3] عمران (محمود سعيد)، معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2، 1986م، ص 177. كذلك انظر فرح، تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى، ص 60.

[4] اينهارد ، سيرة شارلمان، مصدر سابق، ص 56.

[5] زيتون(عادل)، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، دمشق ،ط1، 1980م ، ص 136.

[6] رستم (أسد)، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت ، لبنان، 1955 م، ص 24.

[7] VASAILIEV, A.A . *History of the Byzantine Empire* ,2vols , U.S.A ,1961 ,P26 .

وهكذا نجد أن فحوى حادث 184هـ/ 800 م ومغزاه لا يزال محيراً في نظر المؤرخين، ولكن لا شك أنّ هذا التتويج كان يشكل الخطوة الختامية لجهود البابوات في سبيل ربط أنفسهم بالكارولنجيين.

ثانيا: أسرته وحياته الشخصية :

بعد موت "بيبن القصير" قامت والدة شارلمان واسمها "برثرادة" Berthrada بزيارة إلى البلاط اللومباردي في بافيا، بهدف عقد تحالف ثنائي بين ابنها شارلمان والملك اللومباردي "ديسيدريوس" على أساس المصاهرة، ونجحت برثرادة بالوصول إلى اتفاق مع الأخير، بأن يتزوج شارلمان من ابنة الملك اللومباردي، وكذلك تتزوج شقيقة شارلمان "جيزله" Gesila من أدالجيس بن ديسيدريوس، وفي عام(154 هـ– 771 م) احتفل شارلمان بزواجه في حين أبت جيزله الزواج من الأمير اللومباردي، غير أنّ شارلمان طلق زوجته اللومباردية في العام نفسه[1] .

ثم تزوج شارلمان من "هلدجارد" Hildegard وهي امرأة ذات منشأ نبيل ومن أصل سوابي [2]، ورزق منها بثلاثة أولاد هم : شارل وبيبن ولويس وأنجبت له ثلاث بنات أخريات، أما زوجته الثالثة فكانت "فاستراده" Fastrada وهي امرأة من منشأ فرنجي أي أنها ذات أصل جرماني.

وعند موت فاستراده تزوج شارلمان من "ليوتجارد" Liutgard وهي امرأة ألمانية لم تنجب له أولاد، وكذلك أرسل شارلمان يعرض الزواج على "ايرين الإمبراطورة البيزنطية" وفتحا باب المفاوضات في هذا الأمر، فقد أرسل شارلمان والبابا ليو رسوله إلى تقية الأتقياء ايرين طالبين منها ربط الشرق والغرب عن طريق الزواج، ولكن المفاوضات أخفقت وخلعت عن العرش بمؤامرة دبرها صاحب الخزينة نقفورNicephorus[3]وتولى العرش على إثرها[4].

أما والدة شارلمان "برثراده" فكان شارلمان يكنّ لها أسمى آيات الاحترام ولم ينشب أي خلاف بينه وبينها إطلاقاً إلا عند طلاقه لابنة الملك الومباردي "ديسيدريوس" التي لم يتزوج منها إلا إرضاء لوالدته، ولكن سرعان ما توفيت والدته بعد وفاة هلدجراد مباشرة، وكان لشارلمان أخت وحيدة اسمها "جيزلة" وهبت نفسها للحياة الدينية منذ صباها، وقد أحبها شارلمان حباً كثيراً لا يوازيه سوى حبه لوالدته، وتوفيت جيزله أيضاً قبل وفاة شارلمان ببضع سنوات.

كذلك انظر بينز(نورمان)، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ط1 ، 1950 م ، ص 58.

[1] أما السبب في هذا الطلاق فيعود إلى أنها كانت عاقراً لا تنجب أولاداً أو أنها كانت مصابة بمرض ما، انظر الحويري (محمود محمد) ، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص 147.

[2] هلدجراد : هي من أقليم سوابيه الذي يقع في الجنوب الغربي من ألمانيا الإتحادية حاليا، كانت في الثلاثين من عمرها عند زواجها من شارلمان، وقد استمر زواجها من العاهل الفرنجي حتى وفاتها سنة 783م .

انظر FICHTENAU,H. *The Carolingion Empire*,p39.

[3] قامت ثورة أدت إلى عزل الإمبراطورة ايرين وتولية الإمبراطور نقفور الأول عرش بيزنطة. وهو الذي أرسل رسالته الشهيرة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد يهدده ويطلب منه إرجاع ما أخذه من إتاوات من الإمبرطورة ايرين وذكر أنها لضعفها خضعت له وكان الرد من الخليفة العباسي أن الجواب ما تراه لا ما تسمعه. فقاد حملة بنفسه أدت إلى إخضاع نقفور وإجباره على دفع إتاوة أضعاف ما كانت تدفعه ايرين واستولى على عدة معاقل.انظر(ابن الأثير) عز الدين أبو الحسن ، الكامل في التاريخ ، اعتنى فيه : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د.م ، ج5 ، ص118، كذلك انظر . VASAILIEV, A.A . *History of the Byzantine Empire* ,p271

[4] اينهارد، سيرة شارلمان، مصدر سابق، ص 118.

إنّ الخطة التي تبناها شارلمان لتربية أبناءه كانت ترمي بالدرجة الأولى إلى تعليم البنين منهم والبنات الفنون الحرة[1]، التي كانت أيضاَ موضع الاهتمام الشخصي لشارلمان، فقد كان على الذكور تعلم الفروسية والتدريب على فن الحرب ورياضة الصيد وذلك طالما يسمح سنهم بذلك، في حين كان على البنات أن يعودّن أنفسهن القيام بأعمال الخياطة والحياكة كي لا يألفن الخمول وحياة البطالة[2].

ومن أشد الأمور غرابة أن بنات شارلمان كنّ في غاية الجمال وإن شارلمان أحبهن حباً جماً غير أنه لم يجز لهنَّ أن يتزوجن إطلاقاً[3] من أي إنسان تقدم لخطبتهن سواء من بني قومهم أومن غيره ،وبلغ من شدة تعلقه ببناته أنه استبقاهن جميعاً في البيت حتى موته مدعياً بأنه لا يطيق فراقهن، وكان شارلمان سعيداً بما أراد لبناته من البقاء حوله وتحمل ما جرى به الأقدار في شأنهن، فالمعروف أن بنات شارلمان قد وجدن متنفساً في قصره الغاص بالوجهاء من رجال الدين والدنيا، بأن أقمن علاقات حب مع بعضهم، الأمر الذي فاحت رائحته وكان سبباً في بعض المتاعب التي كان على العاهل الفرنجي أن يعالجها في بسرعة فائقة حرصاً على سمعة البيت الكارولنجي المالك[4].

ثالثا" : أوضاع أوربا الفكرية قبيل النهضة الكارولنجية :

1 - أثر الغزوات البربرية في الحياة الفكرية:

لا شك أنَّ غزوات البرابرة التي اجتاحت أوربا قد أوجدت حالة من الفوضى والتوتر في شتى نواحي الحياة ومختلف أوجه النشاط الثقافي في الغرب الأوربي، إذ قضت على معالم الإمبراطورية الرومانية وأحلت محلها حضارة قبلية بدائية لم تكن لترتقي إلى مستوى حضارة الرومان القدماء، ولقد أخذت الحضارة الرومانية المرتبطة بالثقافة اللاتينية تتكمش تدريجياً في دول الغرب الأوربي، وكذلك أغلقت المدارس القديمة أبوابها فعمّ الجهل وساد الظلام .[5]

أمّا اللغة اللاتينية فقد دبّ فيها الخلل والفساد، وأدخلت على اللغة الفصحى ألفاظاً عامية وكلمات جرمانية ، وظهرت لغة لاتينية جديدة تختلف اختلافاً بيناً على اللغة الكلاسيكية وأطلق عليها اسم اللاتينية العامية أو الشعبية، بالإضافة إلى أنَّ المدارس الرومانية العامة زالت في الممالك البربرية الناشئة، وأصبح التعليم بأيدي معلمين خاصين، وأهمل المطالعات العامة حيث كان السواد الأعظم من البرابرة جاهلاً وبهجومهم على الإمبراطورية تراجعت الثقافة، ولم تكن من هؤلاء البرابرة سوى أن عجلوا في زوال الحضارة الرومانية[6].

---

[1] الفنون الحرة هي سبعة تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الثلاثية وتشمل (النحو والبلغة والمنطق) أما المجموعة الرباعية وتشمل (الحساب والهندسة والفلك والموسيقى) . انظر دوسن (كريستوفر)، تكوين أوروبا، ترجمة : سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، ط 1، 1967م، ص283.

[2] اينهارد، المصدر نفسه، ص120.

[3] لقد خضع شارلمان في كل مراحل حياته لتأثير النساء، فقد كان ابناً يقدر الواجب عليه وزوجاً متيماً بزوجته، ووالد شديد التهاون مع أبناءه، وذلك أنه كان يصطحب نساء القصر في كل أسفاره، ويقمن إلى جانبه، وكان ملكاته (زوجاته) يعتبرن وزراء الدولة، فقد كان لكلمتهن عنده من الوزن ما ليس لكلمة زملائه من الرجال، أما بناته فلم يكنّ على درجة الملكات في النفوذ غير أنهنّ شاركنّ أيضاً فيما جرى في البلاط من التآمر. انظر اينهارد، سيرة شارلمان، مصدر سابق، ص120.

[4] كانتور، التاريخ الوسيط – قصة الحضارة البداية والنهاية، مرجع سابق، ص 80.

[5] ديغز، أوربا في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 60.

[6] هلستر (ورن)، أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 1، 1988م، ص 111 .

ولقد لخصّ الأستاذ فريدنياند لوط في كتابه "الغارات الجرمانية" ما فقدته اللغة اللاتينية لحساب اللغات الجرمانية حيث طورت اللغة الجرمانية اللغة اللاتينية في في الألزاس وسويرا الألمانية، وفي بريطانيا كان تأثير البرابرة المغيرين جذرياً لأنهم أوغلوا في بلاد أقل بلاد أوروبا تأثراً بالرومانية ولقد كانت لغة سكانها الأصليين " السلتية " " الكلتية " واحتفظ البرابرة المغيرون الانكلوسكسون بلغتهم الأصلية التي أصبحت اللغة الانكليزية[1].

أما غاليا فكانت على عكس البلدان الأوربية الأخرى حيث أخذ البرابرة الفرنجة المغيرون لغة السكان الأصليين، وليست اللغة الفرنسية لغة الفرنجة بل اللغة اللاتينية الشعبية التي يتكلم بها الغاليون الرومانيون، والجدير بالملواحظة أنّ اللغات التي تكلم بها الغزاة البرابرة من القوط الغربيين والشرقيين والبرجنديين والوندال قد زالت تماماً، ولم تترك أثر البتة، وهذا دليل على فقر الحضارة الرومانية وكان من الممكن أن يكون دور البرابرة عظيم الأثر لو أنهم كانوا حملة ثقافة حقيقية، غير أن فقر الثقافة الجرمانية يبدو بوضوح عندما نقارن تأثير الغارات البربرية الروحي الذي هو قريب من العدم بتأثير الفتوحات الإسلامية القائمة على الدين ،إذ جعل العرب المسلمون أبناء البلاد المفتوحة يعتنقون دينهم ويقبلون بحضارتهم الناشئة ونفوذهم، فلقد كان للعرب المسلمين حضارة في حين لم تكن للبرابرة الجرمانيين حضارة[2] .

2 – أثر الديانة المسيحية في الحياة الفكرية :

لقد ظلت اللغة اللاتينية لغة الكنيسة الغربية في العصور الوسطى، فدونت بها كتبها الدينية وقوانينها ونظمها وتعاليمها ،وأقامت بها طقوسها وصلواتها ،على هذا فإنّ كتب الأدب الروماني استمرت مفتوحة ليقرؤها كل من حصل على قسط من الثقافة الدينية كما استمرت معرفة اللغة اللاتينية بمثابة مؤهل ،لابد منه لرجال الدين في الغرب الأوربي.

وثمة صلة بين المسيحية وفلسفتها وما أصاب التراث الروماني الكلاسيكي من تدهور وانحطاط، ولم يكن الدين المسيحي وفلسفته ليتفقان بحال من الأحوال مع بقايا الحضارة الرومانية الوثنية وتراثها الكلاسيكي القديم، لقد كان التراث الروماني في نظر المسيحيين ضاراً عديم الفائدة لارتباطه بالوثنية وما كانت تدعو إليه من الحرية والانطلاق وتعدد الآلهة[3].

فالفلسفة المسيحية تنادي بأن الحياة الدنيا ما هي إلا مطيّة زائلة إلى الدار الآخرة لذا يجب على الفرد أن يعد نفسه لحياة الآخرة الأبدية بالصلاة والعمل على مرضاة الله، وعلى هذا حرّمت المسيحية على الفرد أن يتمتع بمباهج الحياة الدنيا وملذاتها، لكونها متعاً زائلة يجب أن ينهي نفسه عنها، أما الفلسفة الوثنية القديمة فكانت تتميز بالتحرر من كل قيود وتدعو إلى التمتع بالحياة وبالطبيعة وجمالها في شتى صورها ومظاهرها .[4]

وعندما انتشرت المسيحية في الغرب الأوربي صبغت حياة المجتمع بصبغة خاصة، ظهر أثرها جلياً في شتى المجالات وبخاصة فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والفكر والثقافة ،فلم تسمح المسيحية للمفكر أو الأديب أو الفنان أن يعبر عن أحاسيسه في رأي أو قصيدة أو لوحة تتعارض مع فلسفتها، ولم يكن مسموحاً بتدريس علوم وآداب اليونانيين والرومان القدماء لما فيها من عناصر وثنية لا تتفقا بحال مع المسيحية وما كانت تدعو إليه[5].

---

[1] الناصري (سيد علي) ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ،ط 2 1991 م ، ص 481.

[2] عاشور (سعيد) ، أوروبا العصور الوسطى، الجزء الثاني، النظم والحضارة ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، مصر، ط 1، 1959 م ، ص 121.

[3] حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص 57.

[4] عاشور (سعيد)، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان 1973 م ،ص54 .

[5] ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرماني ، مرجع سابق ،ص 106.

وقد حاربت الكنيسة الأوربية الكاثوليكية التراث الروماني القديم دون هوادة حتى أن ما تبقى منه في بداية العصور الوسطى كان ضئيلاً وضعيفاً في مستواه .

رابعاً : مراحل النهضة الكارولنجية :

1 - المرحلة الأولى :

تشمل الفترة الممتدة من سنة 157هـ/ 773م، حتى 170هـ/ 786م وفيها كان الدور الأكبر لرجال المعرفة الايطاليين وأبرزهم :

أ - بطرس البيزاوي Peter of pisa :

يعود أصله إلى مدينة بيزا الايطالية وقد تلقى علومه في مدرسة بافيا عاصمة اللومبارديين، وعندما استولى شارلمان على بافيا سنة 774 م وجد فيها بطرس البيزاوي فأتى به إلى غاليا [1].

وعلى الرغم أننا لا نعرف العمل الذي عهد به شارلمان إلى بطرس البيزاوي، إلا أننا نعرف أن بطرس كان متخصصاً في نحو اللغة اللاتينية وأنّ شارلمان تلقى دروسه في النحو وقواعد هذه اللغة على يديه، الذي كان في ذلك الوقت طاعناً في السن، ولقد كان بطرس مساعداً ثميناً للملك شارلمان في مدرسة القصر ومات بطرس البيزاوي عام183هـ/ 799 م.[2]

ب - بولس الشماس Paul of Decon:

من الأصل اللومباردي، وقد سموا اللومبارد بهذا الاسم لطول لحاهم، وتثقف بولس ثقافة عالية وعقد صلات مع البيت الملكي اللومباردي، وبعد سقوط المملكة اللومباردية على يد شارلمان، دعاه شارلمان إلى غاليا ليفيد مدرسة القصر بعلمه في ميدان التاريخ والنحو، لذلك يعد بولس الشماس من الأقطاب الذين عاشوا في بلاط شارلمان وشغلوا دوراً هاماً في النهضة العلمية[3].

وفي أواخر سني حياته اتجه بولس إلى دير مونت كاسينو [4] حيث عكف على تأليف كتابه المشهور "تاريخ اللومبارد" ، فذهب به من الأصول الأسطورية حتى سنة 774 م ولقد لاقى هذا الكتاب نجاحاً عظيماً وأكسب مؤلفه لقب"أبا التاريخ الايطالي"[5].

ت - المرحلة الثانية :

تشمل الفترة من 170هـ/157 م، حتى سنة 184هـ/800 م، ويمكن تسميتها "عصر الكوين" لأن النهضة الكارولنجية بلغت ذروتها على يديه .

1 - الكوين Alcuin : "117هـ-735م /189هـ -804م " :

كان الكوين رجلاً سكسونيا، ولد في مدينة يورك [1] عام 735 م وتعلم في مدرسة الكاتدرائية، وقد كانت بريطانيا وإيرلندة في القرن الثامن متقدمين من الناحية الثقافية على فرنسا ، لمّا بعث آفا Offa ملك مرسية الكوين في بعثة إلى شارلمان ألحّ شارلمان على الكوين أن يبقى عنده وسّر الكوين أن يخرج من انكلترا[2].

---

[1] حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق، ص 282.

[2] عاشور، النظم والحضارة، مرجع سابق، ص 142.

[3] فرح (نعيم)، الحضارة الأوربية في العصور الوسطى ، منشورات جامعة دمشق ، ط 1، 2000م، ص 289.

[4] مونت كاسينو عبارة عن تل يقع على ارتفاع 1715 م عن سطح البحر في منتصف الطريق بين روما ونابولي وقد تعرض دير مونت كاسينو للدمار على يد اللومباردين عام 581 م ، انظر الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة ، مرجع سابق ، ص 229.

[5] دوسن (كريستوفر)، تكوين أوروبا ، مرجع سابق ، ص 276.

فآثر البقاء عند شارلمان، وكان في السابعة والأربعين من عمره وشغل مكانة كبيرة في الإمبراطورية الكارولنجية ،وأصبح هو حامل لواء النهضة العلمية في الإمبراطورية الكارولنجية، وعينه شارلمان رئيساً لمدرسة القصر في عاصمة "آخن" ، فبعث إلى انكلترا وغيرها من البلاد في طلب الكتب والمعلمين، فأصبحت مدرسة القصر مركزاً نشيطاً من مراكز الدرس ومراجعة المخطوطات ونسخها، وقام الكوين بمراجعة الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) ،وإهدائه نسخة مصححة إلى شارلمان ، واستعانته ببعض العلماء لتصحيح أناجيل متى ولوقا ويوحنا . بالإضافة إلى توزيعه النسخ المصححة على الكنائس والأديرة[3].

مدرسة القصر :

قام الكوين في المرحلة الأولى من حياته ، بتنظيم مدرسة القصر وسائر المدارس التي من هذا النوع وفي المرحلة الثانية حارب اللاايقونية وانتصر عليها، أما في المرحلة الثالثة أنشأ في تور [4] مدرسة ديرية أصبحت نواة لمدارس أخرى كثيرة .

أنّ هذه المدرسة لم تكن وليدة عصر شارلمان، بل إن أصولها تمتد إلى العصر الميروفنجي، إلا أنها كانت تنقصها النظام والتبلور والعلم الحقيقي ، هكذا حتى استطاع الكوين أن يجعل من هذه المدرسة عاملاً فعالاً في حياة الدولة بعد أن نظمها على أسس سليمة[5] .

والجدير بالذكر أنه كان أهم تلامذة الكوين شارلمان نفسه وزوجته ليوتجارد وأولاده وابنته جيزلا وأمين سره اينهارد، وكثيرون غيرهم وكان شارلمان أكثرهم شغفاً بالتعليم فكان يحرص على العلم حرصه على تملك البلاد، ويروي اينهارد أنه بذل جهوداً جبارة لتعلم الكتابة، وكان من عادته أن يحتفظ بالألواح الكتابية تحت وسادته حتى يستطيع في أوقات فراغه أن يمرن يده على رسم الحروف، ولكن جهوده لم تلق إلا قليلاً من النجاح لأنه بدأ هذه الجهود في آخر سني حياته[6]، كذلك تعلم شارلمان الحساب الذي كان يستخدمه في حساب حركات النجوم والأجرام السماوية بدقة بالغة وطلب من الكوين أن يعد له تقويماً مختصر والجدير بالذكر أن مدرسة القصر كانت تصحب شارلمان أينما ذهب وحيثما حلَّ فهي بمثابة مركز علمي متنقل من نوع فريد.

---

[1] ولد الكوين في مدينة يورك وتلقى تعليمه فيها حيث درس كتابات آباء الكنيسة والعلوم الكلاسيكية ثمّ أصبح رئيساً لدير المدينة .انظر عمران (محمود سعيد) ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1، د.ت ، ص 25.

[2] ديورانت (ول)، قصة الحضارة ، عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، مصر ، ط 2، د.ت ،ج3، ص236.

[3] حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، مرجع سابق ، ص 284 .

[4] تور : مدينة فرنسية تقع على بعد 206كم ،إلى الجنوب الغربي من باريس، استولى عليها القوط العربيون في القرن الخامس الميلادي ثم واستولى عليها الفرنجة في القرن السادس الميلادي، ودارت معركة بلاط الشهداء بين الغافقي وشارل مارتل عام 732م ، وقد أطلق الجغرافيون العرب على مدينة تور اسم (طرنش) انظر الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ،1984م ، ص 391.

[5] ديورانت، المصدر نفسه ، ص 237 .

[6] إن حديث اينهارد هذا يعتبر دليلاً قاطعاً على الفروق الحضارية بين الغرب والشرق في العصور الوسطى ففي الوقت الذي كانت فيه بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن العربية تشكل مراكز ثقافية عالمية في شتى مناحي المعرفة الإنسانية كان شارلمان ورجال بلاطه ونبلاء مملكته كما يشهد المؤرخ اينهارد بذلك يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسمائهم . انظر اينهارد ،سيرة شارلمان ، مصدر سابق ،ص .137

ونتيجة للاهتمام بالدراسات الكلاسيكية فقد قام علماء مدرسة القصر بإطلاق اسم روما الثانية أو أثينا الثانية على مدينة "آخن" ، وأطلقوا تسميات على العلماء مأخوذة من الإنجيل ومن التراث القديم فقد أطلقوا على شارلمان اسم داوود، وعلى الكوين اسم فلاكوس وانجلبرت اسم هومروس ويرجع ذلك إلى أنهم أرادوا أن يتشبهوا بالسلف من أعلام الحكمة والأدب[1].

المرحلة الثالثة :

تشمل الفترة من سنة 184هـ- 800 م حتى وفاة شارلمان سنة 199هـ/ 814 م، وكانت فترة تدهور تدريجي وأبرز أعلامها :

1 - اينهارد Einhard: 154هـ- 770 م /840هـ - 226 م :

اينهارد مؤرخ فرنجي ولد عام 154هـ/ 770 م في منطقة نهر الماين في مملكة الفرنجة وتلقى اينهارد تعليمه الأول في دير القديس بونيغاس [2] في فولدة، وسرعان ما اكتشف مقدم دير فولدة ما يتمتع به اينهارد من إمكانات ومواهب، فاصطحبه عام175هـ/ 791 م إلى العاصمة الفرنجية "آخن" حيث أقنع شارلمان بضرورة الإفادة مما اجتمع في شخص اينهارد من علم وذكاء وثقافة وحكمة، وبالفعل دخل اينهارد في خدمة شارلمان ولمع نجمه بسرعة في مدرسة القصر وقد تحدث الكوين عن مواهب اينهارد في رسالة له إلى شارلمان قائلاً (((إنّ أصدقاء اينهارد يعترفون بمواهبه ويطلقون عليه اسم اينهارد العظيم على الرغم أنه كان قصيراً ونحيلاً))).[3]

تزوج اينهارد من أخت أسقف (ورمز) worms واسمها إمّة Emma ، غير أنّ هنالك روايات تقول أنّها ابنة شارلمان الأميرة إمّة حيث كانت على علاقة بالمؤرخ اينهارد ولا بدّ أن الأمر اختلط على الباحثين بين الأميرة إمّة ابنة شارلمان وإمة زوجة اينهارد[4]، ورغم المكانة الكبرى التي احتلها اينهارد عند شارلمان إلا أنه لم يصل إلى مركز مرموق ، لكنّه عُين سكرتيراً خاصا لابنه لويس التقي Louis the pious فيما بعد، وحصل على مهام شريفة كبيرة ، وترجع أهمية اينهارد في أنه يعدُّ مؤرخ الإمبراطور شارلمان وصاحب كتاب "سيرة شارلمان"، وقد استعان اينهارد في كتابه هذا بكثير من الحوليات الملكية التي استمّد منها المادة التاريخية خاصة فيما يخص بعض الحملات العسكرية التي قادها شارلمان، ورغم أنّهُ قد وقع بأخطاء كبيرة أثناء تفسيره لهذه المعلومات إلا أنّ عمله التاريخي ككل يعتبر صحيحاً ومتكاملاً إذا ما قارناه بغيره من المصادر التاريخية .

ولعب اينهارد دوراً كبيراً في المملكة الفرنجية فقد كان مستشاراً لشارلمان في الشؤون العلمية والثقافية ،ففي عام 183هـ/799 م سأل شارلمان الكوين سؤالاً حول الآداب الإغريقية والرومانية فأجاب الكوين بأن عليه أن يسأل اينهارد

---

[1] صبرا (عفاف سيد) ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، مصر ،ط 1، 1982م ،ص319.

[2] دير القديس بونيغاس في فولدة بمنطقة هيس الواقعة على بعد ستين ميلاً إلى الشمال الشرقي في مدينة فرانكفورت وكان هذا الدير المركز الرئيسي للتعليم والمعرفة في البلاد الفرنجية آنذاك . انظر دوسن، تكوين أوروبا، مرجع سابق ، ص 281.

[3] ديورانت ، قصة الحضارة ، عصر الإيمان ، مصدر سابق، ص 235 .

[4] ظهرت رواية في القرن الثامن عشر الميلادي تقول أن ابنه شارلمان واسمها إمّة كانت على علاقة بالمؤرخ اينهارد وأن شارلمان لاحظ ذلك وعفا عن الاثنين وأضفى على اينهارد شرف الموافقة على زواجه من ابنته الأميرة إمّة ويبدو أنّ هذه الرواية أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة التاريخية ذلك أنه ليس هناك أدلة كافية تثبت ذلك هذا فضلاً أن كتاب اينهارد يخلو من ذكر هذه المسألة ولو كان هذا الأمر حقيقياً لكان اينهارد لا يتردد في ذكره لان مصاهرة الأسرة المالكة تضفي عليه شرفاً كبيراً . اينهارد ، سيرة شارلمان ، مصدر سابق ، ص20.

حول ذلك، كما قام اينهارد بالتدريس في مدرسة القصر إلى جانب عدد من الأعلام البارزين الذين ذكرناهم أمثال بطرس البيزاوي وبولس الشماس والكوين وبذلك كان اينهارد واحداً من أولئك الذين قامت النهضة الكارولنجية على أكتافهم[1].

وفي عام214هـ/ 830 م اعتزل اينهارد كل مناصبه وغادر العاصمة الفرنجية إلى الدير الذي بناه على نهر الراين مؤثراً وزوجته حياة الرهبنة، ويبدو أنّ السبب في اعتزال اينهارد لمهامه في البلاط الفرنجي هو أنه لم يرغب في توريط نفسه في المؤامرات والأحقاد والدسائس التي نشبت بين ابناء الإمبراطور لويس التقي، وظلّ اينهارد في هذا الدير حتى وفاته 224هـ/840 م[2].

2 – تيودلف Theodolphus:

كان تيودولف قوطي الأصل استدعاه شارلمان إلى بلاطه، ثم عينه أسقفاً لمدينة أورليان، فقام بإصدار أوامره إلى مجموعة من القسس في بعض القرى والضياع المجاورة بأن يقوموا بفتح فصول في كنائسهم لأهالي مناطقهم بدون مقابل، ورغم أن نتائج هذا الجهد كان ضعيفاً إلا أن تيودلف يعتبر مؤسس التعليم الحر في الدولة الكارولنجية[3].

ويعد تيودولف من أبرز شعراء عصره فقد نظم قصيدة من تسعمائة وستة وخمسين بيتاً شعرياً عنوانها "نصيحة إلى القضاة " تعتبر من أروع ما نظمه من الشعر ،وفي هذه القصيدة تتجلى ذكريات تيودولف الشخصية وهي ثمرة الخبرة التي اكتسبها في أثناء جولاته في الجنوب، ويرسم لنا تيودلف في قصيدة أخرى بعنوان "حكم شارلمان" صورة لطيفة للإمبراطور في بيته فيقول (((إذا قدم من أعماله أحاط به أبناؤه فيخلع عنه ابنه عباءته ويأخذ ابنه لويس سيفهُ وتعانقه بناته الستة ويؤتين له بالخبز والخمر ويدخل الأسقف ليبارك طعام الملك ويقترب منه الكوين ليبحث معه ما لديه من الرسائل ،ويهرول اينهارد الضئيل الجسم هنا وهناك كأنه نملة ويأتيه بكتب ضخمة))) كذلك كتب تيودولف نحو ستين قطعة شعرية تتضمن موضوعات مختلفة واستعان لويس التقي ابن شارلمان بتيودولف بعدة بعثات ثمّ غضب عليه وعزله من أسقفيته ومات سنة191هـ/ 821 م[4].

3 – انجلبرت Enjlpert:

كان انجلبرت زميلاً لإينهارد في الدراسة، وقد استدعاه شارلمان إلى بلاطه في "آخن" إكس لاشبيل وتغنى يشعره بالملك وأبنائه وبناته فأضحى كاتماً لسر الملك، وأحب الأميرة برتا ابنة شارلمان وقد تزوج بها.

بعد ذلك سلك طريق الرهبنة هو وزوجته برتا ودخلا إلى الدير معاً ،وبعدها هجرته زوجته ورجعت إلى القصر أما هو فقد أصبح رئيس قساوسة الملك، وكان انجلبرت رجلاً علمانياً اشتهر في مجال الأدب فأطلق عليه معاصروه لقب هوميروس وفي آخر حياته اعتكف في دير القديس ركوبير فجمع لمكتبة هذا الدير أكثر من مائتي كتاب ثم توفي في السنة التي توفي فيها شارلمان سنة 814 م[5].

---

[1] كانتور، التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ص . 60 .

[2] صبرا ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربيتان زمن شارلمان ، مرجع سابق ، ص 321 .

[3] حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، مرجع سابق ، ص 286 .

[4] يقول تيودولف : ينبغي للقاضي ألا يتكلم بسرعة شديدة وينبغي له أن يوجه المتقاضين ويساعدهم على شرح قضاياهم أمامه فيشجع الخجول والوجل ويشتم الوقح ويسكت الثرثار ويسيطر على ضجيج الصائحين باستخدام صوته القوي على أنه ينبغي مع ذلك أن يلزم مكانه وأن يمتنع عن استخدام العصي يقرع بها الأكتاف والرؤوس كما ذاع عن بعض ضيقي الصدر من القضاة ، انظر عاشور (سعيد) ، أوروبا العصور الوسطى، النظم والحضارة ، مرجع سابق ، ص 130 .

[5] فرح (نعيم) ، الحضارة الاوربية في العصور الوسطى ، مرجع سابق، ص 293 .

خامسا : مظاهر النهضة الكارولخية:

1 - المدارس الإقليمية:

امتد أثر الحركة العلمية التي أذكاها شارلمان داخل قصره وفي مدينته "آخن "لتعم أرجاء إمبراطوريته حتى أصبح التعليم هو الأساس الأول لتقييم الفرد، وتعتبر مدرسة الكوين في تور من أولى المدارس الإقليمية التي نشأت على غرار مدرسة القصر في آخن، ولعل الفترة التي قضاها الكوين هناك بعد اعتزاله بلاط شارلمان كانت هامة في إذكاء الحركة العلمية في هذه المنطقة.

وإذا كان فضل الأديرة على العلم في العصور المتأخرة موضوع مبالغة فلا يجوز أن نشك في فائدتها من هذه الوجهة في العصر الكارولنجي، واستقالة الكوين من البلاط ليترأس دير سانت مارتين في تور لا يعني هبوطا في جهوده العلمية[1].

ونتيجة لذلك نجد الأميرة جيزلا أخت شارلمان و روثرود ابنته أسرعتا في الكتابة الى الكوين تطلبان منه تفسير عبارات غامضة من الإنجيل الرابع، وأخبرتاه بأنه منذ أن تلقيا عليه الدروس اشتدت رغبتهما في التعمق في الدرس والتحصيل فأرسل إليهما بدوره مجلدين ضخمين عن التفسير، ورأى ضرورة الاعتذار لأنه لم يرسل لهما أكثر من ذلك.[2]

وقد قام تيودولف رئيس دير أورليان بتنظيم التعليم في أبرشيته، وأصدر منشورا لأتباعه من رجال أسقفيته يحثهم فيه على تعليم الأهالي بصفة عامة، سواء في المدن أو الريف، وهناك مرسوم آخر صدر سنة 187 هـ/802 م ينص على أن يبعث كل فرد ابنه ليتعلم القراءة والكتابة بشرط أن يبقى هذا الإبن في المدرسة حتي يكتمل تعليمه.[3]

وفي عام 190هـ/805 م صدرت تعليمات أخرى تهيئ لهذه المدارس تعليم الطب وتعليمات أخرى تتدد بالخرافات الطبية، ومما يدلنا على أن أوامره لم تذهب أدراج الرياح كثرة ما أنشئ في فرنسا وألمانيا الغربية من مدارس في الكنائس و الأديرة[4].

2 - المكتبات :

رأى شارلمان المكتبة الفنية المقامة في مونت كاسينو والتي أشار إليها بولس الشماس في تاريخه عن اللومبارديين، فقد كانت مملوءة بالأرفف الكبيرة الزاخرة بالكتب النادرة القيمة، والتي وضعت فوق بعضها البعض بعناية كبيرة، لذلك قام شارلمان بإنشاء مكتبة مماثلة لها قي قصره بآخن .[5]

كانت مكتبة القصر تشرف على الطريق المؤدي إلى كنيسة القديسة ماري وعندما يقف الإنسان أمام أدراج القراءة تعكس القبة الذهبية بريق الشمس في عينيه، وحول جدران المكتبة توجد المخطوطات التي أحضرها اينهارد وقواعد النحو التي ألفها الكوين إلى جانب نسخ من كتابات آباء الكنيسة على الأخص كتاب مدينة الله للقديس أوغسطين الذي جلد بالفضة وحلي بالأحجار الكريمة[6].

كما امتلك شارلمان شخصيا عددا ضخما من الكتب أوصى ببيعها عند وفاته والإحسان بثمنها على الفقراء والمساكين، وامتازت الأديرة المعاصرة بمكتباتها الفنية حتى أن مكتبة ديرسانت ركوبير ضمت أكثر من مائتين

---

[1] **عمران (محمود سعيد) ، حضارة أوربا في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 227.**

[2] **ديورانت (ول)، قصة الحضارة ،عصر الإيمان ، مصدر سابق ،ص 238.**

[3] **صبرا (عفاف سيد) ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، مرجع سابق ،ص 325.**

[4] **عاشور (سعيد) ، أوروبا العصور الوسطى ،النظم والحضارة ، مرجع سابق ،ص. 13.**

[5] **فرح (نعيم)، الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، مرجع سابق ص 293.**

[6] **ساليفان (ريتشارد)، ورثة الإمبراطورية الرومانية ، الغرب الجرماني ، مرجع سابق ، ص 108.**

وخمسين كتابا مخطوطا، وليس من الضروري أن يكون كل ذلك العدد نسخه الرهبان بأيديهم إذ أن جزء كبيرا من الكتب التي وجدت بأديرة ذلك العصر آلت إليها عن طريق الهبات والهدايا[1].

3- التاريخ :

قد احتل التاريخ المكانة الثانية في آداب النهضة الكارولنجية بعد الأدب اللاتيني، وقد امتازت الكتابات التاريخية في ذلك العصر بحسن صياغتها وجمال أسلوبها، وفيما عدا سير القديسين اهتم المؤرخون بكتابة الحوليات المحلية القصيرة إلى جانب الحوليات العامة الكبيرة التي أشرف عليها رجال البلاط وسميت بالحوليات الملكية .

وتناولت الحوليات الملكية تاريخ الكارولنجيين منذ تقسيم شارل مارتل مملكته بين أبنائه حتى آخر ملك كارولنجي هذا زيادة على الكتب التاريخية المتعددة التي تناولت أخبار الحروب والحوادث مثل كتاب (((تاريخ الحروب الأهلية))) لمؤلفه نيشار في القرن (الثالث الهجري /التاسع الميلادي)، وكذلك (سيرة شارلمان) لاينهارد التي كانت معلوماته مبنية على معرفة شخصية كما قدمنا، والتي تعدُّ من أقدم سير العصور الوسطى المأثورة، لأنه لم يهدف إلى تاريخ عصره بل إلى تصوير الإمبراطورية وبيئته تصويراً بارزاً، والجدير بالملاحظة بأن هذه السيرة أضحت مثلاً يحتذى به في الكتابات التاريخية اللاحقة فقام ثلاثة من المؤرخين بترجمة حياة لويس التقي ابن شارلمان وخليفته[2].

خاتمة :

بعد موت شارلمان199هـ/ 814 م بفترة قصيرة خلدت ذكرى انجازاته بهذه العبارة التي كتبت على ضريحه "في هذه المقبرة يرقد جثمان شارل الإمبراطور العظيم السديد الرأي الذي جعل مملكة الفرنجة بشهامة وشرف مملكة واسعة وحكم بنجاح لمدة سبعة وأربعين سنة " .

وقد لخصت عبارات المديح هذه بدقة الملامح الأساسية للمنجزات التي حققها جميع الكارولنجيين الأوائل، وان تاريخ الغرب الأوربي منذ أوائل القرن الثامن وحتى حوالي 840 م ما هو في المقام الأول سوى قصة تروي كيف أصبحت أسرة جديدة دولة عظمى في نظر العالم نتيجة الفتوحات التي حققها والحكومة الناجحة التي أقامها ، فقد وسع أملاكه وحافظ عليها بما وضعه لها من نظام عسكري قوي الدعائم وسندها بما أفاء عليها من ظل الدين وشعائره .

ولقد كان استمرار شارلمان في اتخاذ مدينة "آخن" لروما عاصمة له، شاهداً على انتقال السلطة السياسية من بلاد البحر المتوسط إلى أوروبا الشمالية ، نتيجة لذلك قامت في عاصمته نهضة علمية كارولنجية كان من أهم ثمارها أنها قامت باكتشاف كثير من الأعمال العلمية والأدبية القديمة، وبفضل تشجيع شارلمان قام مقدمو الأديرة بإحياء كثير من الكتب الرومانية النادرة وهذه الكنوز القديمة حملها الرهبان عبر أسفاره ورحلات طويلة إلى أديرة بعيدة للدراسة والنسخ ، ولم يضع أي عمل من الأعمال الرومانية حملته أيدي تلامذة شارلمان ونحن ندين لهم بالفضل لأنهم هم الذين حفظوا لنا تاريخ قيصر وتاكيتوس وغيرهم من الكتاب القدامى ،على أنا يجب ألا نغالي في تقدير القيمة العقلية لذلك العهد ، فلقد كان هذا البعث المدرسي أشبه بيقظة الأطفال منه بالنضوج الثقافي الذي كان قائماً وقتئذ في القسطنطينية وبغداد وقرطبة فلم يثمر هذا البعث كُتاباً كباراً من أي نوع كان كالذين أنتجتهم الحضارة العربية الإسلامية .

---

[1] **صبرا (عفاف سيد)، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، مرجع سابق ، ص 326 .**

[2] **اينهارد ، سيرة شارلمان ، مصدر سابق ،ص 138 .**

المصادر والمراجع :

1 -ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن) ، *الكامل في التاريخ* ، اعتنى فيه : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، د.م ، ج5 .

2 -اينهارد ، *سيرة شارلمان* ، ترجمة : عادل زيتون ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، ط1 ، 1989م .

3 -بينز (نورمان) ، *الإمبراطورية البيزنطية* ، تعريب: حسين مؤنس + محمود يوسف زايد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ط1 ، 1950 م .

4 -حاطوم (نور الدين)، *تاريخ العصر الوسيط في أوروبا* ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1982م ، ج1

5 -الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري) ، *الروض المعطار في خبر الأقطار* ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ،1984م .

6 -الحويري (محمود محمد)، *اللومبارديون في التاريخ والحضارة* ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1986م .

7 -دوسن (كريستوفر) ، *تكوين أوروبا* ، ترجمة : سعيد عبد الفتاح عاشور + محمد مصطفى زيادة، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ط1، 1967م .

8 -ديفز (هنري كارلس)، *أوربا في العصور الوسطى* ، تر: عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف ،الإسكندرية، ط1، 1958م .

9 -ديورانت (ول) ، *قصة الحضارة ، عصر الإيمان* ، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط2، د.ت ،ج2 .

10 -رستم (أسد)، *الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب* ، بيروت ، لبنان، 1955 م .

11 -زيتون (عادل)، *العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى*، منشورات جامعة دمشق ،دمشق ،ط1، 1980م .

12 -ساليفان(ريتشارد)، *ورثة الإمبراطورية الرومانية الغرب الجرماني- العالم الإسلامي- الدولة البيزنطية* ، تر:جوزيف نسيم يوسف ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،ط1، 1985 م .

13 -صبرا (عفاف سيد) ، *الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان* ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، مصر ،ط1، 1982م .

14 -عاشور (سعيد)، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى* ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان 1973 م .

15 -عاشور (سعيد) ، *أوروبا العصور الوسطى، الجزء الثاني، النظم والحضارة* ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، مصر ، ط1، 1959 م .

16 -عمران (محمود سعيد) ، *معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى* ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط2، 1986 م.

17 -عمران(محمود سعيد)، *حضارة أوروبا في العصور الوسطى* ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1، د.ت.

18 -فرح (نعيم)، *تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى* ، منشورات جامعة دمشق ،ط3 ،2000 م .

19 -فرح (نعيم)، *الحضارة الأوربية في العصور الوسطى* ، منشورات جامعة دمشق ، ط1، 2000م.

20 –كانتور (نورمان)، *التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية* ، تر : قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط 5 ،1997 م .

21 –الناصري (سيد علي) ، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري* ، دار النهضة العربية ، القاهرة، مصر ،ط2 1991 م .

22 –هلستر (ورن)، *أوربا في العصور الوسطى* ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1، 1988م.

المراجع الأجنبية :

1-FICHTENAU,H. *The Carolingion Empire* ,(Eng . trans.) Oxford,1963.

2- STEPHENSON,C. *Medieval History* ,Washington ,1977

3- VASAILIEV, A.A. *History of the Byzantine Empire* ,2vols , U.S.A ,1961